شخصية المسلم تؤثر أكثر من اللغة في قوة الإسلام وضعفه .

بقلم الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري

(الكويت)

ان الله سبحانه وتعالى قد انزل كتابه العربى الحكيم على نبيه العربى الكريم باللغة العربية ، وهو عليم بكل شيء ، واختياره سبحانه نبيا عربيا ، فى امة عربية ، ووطن عربى ، لتبليغ رسالته الى الناس كافة ، انما هو دليل اكيد على ان هذه الامة هى الجديرة بحمل هذه الرسالة العظيمة ، ولهذا سارت هذه الرسالة جنبا الى جنب مع اللغة العربية ، لذلك فان الارتباط بين انتشار رسالة الاسلام وانتشار اللغة العربية وثيق ومتلازم ، فكلما انتشر الاسلام انتشرت اللغة العربية ، وكلما انتشرت اللغة العربية اصبح الاسلام اقرب الى عقول الناس وقلوبهم ، ذلك لان انتشار الاسلام فى بلد لا يتكلم العربية يجعله اقرب الى ان يتكلم ويتعلم اللغة العربية التى هى لغة القرآن ، كما ان الاسلام افاد فائدة كبيرة من اللغة العربية ، حيث انها اغنته بقواعدها واصولها وفلسفتها ، وساعدته على بلوغ ارقى مستوى بلاغى واروعه ، ولا يخفى ان مدى التلازم والارتباط بين اللغة العربية والدين الاسلامى الحنيف لم يحد منه الا دخول عناصر اعجمية حاقدة على العرب ، ومن ثم على الاسلام نفسه لارتباطه ارتباطا وثيقا بالعرب ، مما اثر تأثيرا بالغا على بعض النفوس الضعيفة من المستعربين او العرب الذين تأثروا بهذه العناصر الدخيلة فانجرفوا فى تيارات اهوائهم الشخصية ، واطماعهم الخاصة ، مما حد من انتشار الاسلام ، كما ان تلك العناصر الاجنبية الحاقدة ، حاولت ادخال الكثير من الاضاليل والاباطيل على الاسلام ، ودست عليه الكثير من التقولات التى ما انزل الله بها من سلطان . ومع ان دخول الاعاجم فى الدين الاسلامى وتعلمهم اللغة العربية صاحبه مبدأ «الشعوبية» الحاقدة ، التى ساعدت على تفتيت فكرة الوحدة العربية ، الا ان بعض علماء الاعاجم امدوا الفكر الاسلامى بخدمات لا بأس بها فيما قدموه من ابحاث ودراسات ، ولا شك ان العلاقة السببية بين الاسلام واللغة العربية هي ان **الاسلام اتى باللغة العربية** ، وهو اوثق سبب وامتنه ، اما سبب انتشار اللغة العربية فى بلاد غير عربية من هذا العالم فلا شك ان سبب هذا الانتشار هو تلك الرسالة العظيمة الخالدة وهى الاسلام الذى انزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا استدل على صحة هذا الراى بواقع بيئتنا الاقليمية وبماضيها ، ذلك لان بيئتنا هذه وماضيها مرتبط ارتباطا كليا بلغتنا العربية اولا ، ثم بعد ذلك بديننا

الاسلامى ؛ واحب ان اؤكد هنا ان **الفكرة العربية والفكرة الاسلامية متلازمان** ، كلتاهما تغني الاخرى ، وتساعدها على المضي قدما الى الامام .

واعتقد ان الوعي الاسلامى والوازع الدينى يقويان ويضعفان تبعا لما يكون عليه رجال الدين من خلق وصدق واستقامة ، فرجل الدين له تأثير مباشر على الناس ؛ فاذا كان رجل الدين هذا غير جدير بتبليغ رسالة الدين ، فانما هو يسيء اساءة بالغة الى المسلمين ؛ اما بالنسبة للغة العربية ، فلا شك انها كلما قويت انتشر الاسلام ، وكلما انتشر الاسلام قوي الايمان به ؛ وكلما ضعفت اللغة العربية اثر ذلك الضعف على الاسلام ثم الايمان به ؛ لكنى على كل حال اميل الى القول بأن **التأثير المباشر فى قوة الاسلام وضعفه يرجع الى رجل الدين نفسه .**

والفكر الاسلامى له تأثير كما اعتقد عن طريق القرآن الكريم على اللهجات او اللغات الاقليمية فى الاقطار غير العربية ؛ واعتقد ايضا ان الاسلام كلما كان قويا لدى اية بيئة من البيئات ، لا شك انه تارك تأثيرا على لهجة القوم ، وعلى لغتهم ، نظرا لقوة ايمانهم بالدين الاسلامى الحنيف وتأثرهم به .

واما تأثير اللهجة الاقليمية فى التعابير العربية ، فلست مؤمنا بها ، ذلك لان اللهجة انما هى فرع من اللغة واذا ما رأينا ان اللهجة الاقليمية منتشرة انتشارا واسعا فليس ذلك الا لان الناس يبحثون عن الطريقة الاسهل التى يعبرون بها عن مشكلاتهم اليومية بدون قواعد ، وبدون نظام ينسق بين الالفاظ ، وبدون ضابط يضبط الكلمات التى يعبرون بها ، ولعل اللغة العربية هى التى تؤثر تأثيرا بالغا على اللهجة الاقليمية لقوتها وانتظامها .

والسؤال الاخير عن المكانة التى يجب ان تحتلها العربية فى بلدنا بالنسبة للغات الاجنبية ، فهى المكانة الاسمى والاعلى ! ولعل هذا السؤال موجه الى غير العرب من الذين يدينون بالاسلام .